﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الرّوم: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّحذيرُ من مهالكِ الأممِ مَتبوعٌ بالأمرِ بالثّباتِ على المنهاجِ القويمِ

بعد أن حذّر النّظمُ الجليلُ الكافرين والمشركين منَ البقاء على حالة الكفر والشّرك؛ خيفةً أن يحلّ بهم سُوءُ العذاب، أتبَعه بأمر النّبيّ ﷺ ومَن تبعه بالثّبات على دينهم القويم، وعبادتِهمُ الواحدَ الأحدَ، قبل أن يأتيَ يومُ الحساب[1]، فلمّا ذكر ما جرى للسّابقين بأن صارت ديارُهم آثارًا للمتّعظين، توجَّه بالخطاب إلى مَن ينتفعُ بالوعظ والإرشاد، فتسبّبَ عن ذِكر تلك المواعظ الأمرُ بإقامة الدّين والثّباتِ عليه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَقِمْ﴾: (قوم) أصلٌ يدُلُّ على انْتِصابٍ أو عَزْمٍ[3]، والقيامُ على أضرُبٍ؛ قيامُ بالشّخص إمّا بتسخير أوِ اختيار، وقيامُ للشّيء: وهو المراعاةُ للشّيء والحفظُ له، وقيامُ هو على العزم على الشّيء، ومنَ القيام الذي هو العزمُ قولُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: 6]، وقولُه: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: 55] أي: يديمون فعلَها ويحافظون عليها[4]، وذلك بأنّهم يؤدّونَها مُقوَّمةَ الأركانِ والسّنن، غيرَ مُخلّين بشيءٍ منها، مِنْ أقامَ الأمرَ: إذا أتى به على أكمل هيئاتِه[5].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 57.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 107 - 108.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).
(4) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قوم).

2) ﴿مَرَدَّ﴾: (مرد) أصلٌ يدلّ على رَجْعِ الشَّيْءِ[1]، والرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيْءِ ورَجْعُه، وهو مَصْدَرُ رَدَدْتَ الشَّيْءَ، ورَدَّهُ عَنْ وجْهِهِ يَرُدُّه رَدًّا ومَرَدًّا وتَرْدادًا: صَرَفَهُ، وأمرُ اللَّهِ لا مَرَدَّ لَهُ، وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الشّورى: 47] يَعْني: يَوْمَ القيامَةِ؛ لأنّه شيءٌ لا يُرَدّ[2]، الرَّدُّ: صرفُ الشّيء بذاته، أو بحالةٍ من أحواله، يقال: رَدَدْتُهُ فارْتَدَّ، فمنَ الرّدّ بالذّات قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومنَ الرّدّ إلى حالة كان عليها قولُه: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149][3]، وقولُه: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107]، أي: لا دافعَ ولا مانعَ ولا صارف[4]، والمَردُّ: مصدرٌ ميميٌّ منَ الرّدّ، والمُرادُ به: الدّافع، أي: لا دافعَ له عنِ المجيء، ولا مانع، ولا صارفَ[5].

3) ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: (صدع) أصْلٌ يَدُلُّ على انْفِراجٍ في الشَّيْءِ، والصَّدْعُ: النَّباتُ؛ لأنَّهُ يَصْدَعُ الأرْضَ، كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ [الطّارق: 12][6]، والصَّدْعُ: الشَّقُّ في الشّيءِ الصُّلْبِ، كالزُّجاجةِ والحائِطِ وغَيْرِهما، وجَمْعُهُ صُدوعٌ؛ وصَدَعَ الشّيءَ يَصْدَعُه صَدْعًا، وصَدَّعَه فانْصَدَعَ وتَصَدَّعَ: شَقّه بِنِصْفَيْنِ، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾؛ أي: يَتَفَرَّقُون فَيَصيرُونَ فَريقَيْنِ، فَريقٌ في الجَنَّةِ وفَريقٌ في السَّعيرِ، وأصلُها: يَتَصَدَّعُون، فَقُلِبَت التّاءُ صادًا وأُدغمت في الصّادِ، وكُلُّ نِصْفٍ مِنْهُ صِدْعةٌ[7]، وتَصَدَّعَ القومُ، أي: تفرّقوا[8]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: يتفرَّقُون[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى لنبيّه الكريم ﷺ إنَّ الأمر إذا كان كما ذكرْنا لكَ من سُوء عاقبةِ الأشرار، وحُسْنِ عاقبةِ الأخيار، فاثْبُتْ على هذا الدّين القويم، ووجِّهْ وجْهَكَ نحوَ الوجهِ الذي وجَّهك

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رد).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ردد).
(3) الرّاغب، المفردات: (رد).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ردد).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 115.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدع).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (صدع).
(8) الرّاغب، المفردات: (صدع).
(9) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.

إليه ربُّكَ، والذي أوحاه إليك، وهو الدّينُ القَيِّمُ، والمِلّةُ المستقيمةُ التي لا اعوجاجَ فيها عنِ الحقِّ، من قبْلِ مَجيءِ يومِ القيامة الذي لا يَقْدِر أحدٌ على منعِ مجيئِه أو دفعِ عذابه؛ لأنّ الله قد قضى بمجيئه، ويومَ يجيءُ ذلك اليومُ يتفرّق النّاسُ فرقتيْن؛ فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السّعير، والمعنى: اثْبُتْ على هذا الدّين، من قَبْلِ أن يأتيَ يومُ القيامة، الذي يَتفرّق فيه النّاسُ إلى فريقيْن[1].

المبادرةُ بالثّباتِ على الدّين المستقيم قبلَ حلولِ يوم القيامة

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في ﴿فَأَقِمْ﴾:

افتتح النَّظمُ الجليلُ الجملةَ بالفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ وهي هنا تفريعيّةٌ؛ فبعد أن ذَكَر التّحذيرَ من عاقبة الشّرك؛ فرّع عليه تثبيتَ النّبيّ ﷺ على أمر الشّريعة والتّوحيد، مع التّعريض بنقيض الشّرك، وهو طريقُ الخلاص منَ العذاب، وذلك باتّباع الدّين الحقّ[2].

إقامةُ الدّينِ والثّباتُ عليه علامة عباد الله الصّالحين

دلالةُ الأمرِ ﴿فَأَقِمْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بفعل الأمر ﴿فَأَقِمْ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ للدّلالة على تأكيد الثّباتِ على الحقّ، بعد أن قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الرّوم: 30]، فهو تأكيدٌ للكلام السّابق، فبعدَ بيانِ عاقبة الشّرك حَسُنَ تأكيدُ الأمر بالثّبات على هذا الدّين القويم، أي: اثبتْ عليه ولا تتحوّلْ عنه إلى جهةٍ ما[3]، والنّبيُّ ﷺ لا يُتصوّر منه خلافُ المأمور به، وإنّما جاء الأمر بذلك طلبًا للدّوام على ما هو عليه، وتوجيهًا له بأن لا يهمَّه إعراضُ الكافرين عنه[4]، فهو تثبيتٌ للنّبيّ ﷺ، وتسليةٌ له.

تأكيدُ الأمرِ بالثّباتِ وطلبُ الدّوام على التّوحيد المعهود

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 110 - 111، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 93.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 114 - 115.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 93.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 88.

بلاغةُ المجازِ في الأمرِ بإقامةِ الوجه:

إحكامُ دينِ الاسلامِ يُلزم النّفسَ بالتّقويم والتّمسكِ بطريقه القويم

عبّر النّظمُ الجليلُ بإقامة الوجه للدّين في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾؛ مجازًا عنِ الإقبال على الدّين، فإنّ إقامة الوجه تعبيرٌ عن تقويمه وتعديلِه، بحيثُ ينظرُ إلى الأمام غيرَ مُلتفتٍ يمينًا ولا شمالًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 29]، وقولِه حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 79]، فهو يدلّ على الإخلاص لله تعالى[1]، والتّعبيرُ به يدلُّ على شدّة الحضور وتركِ الانصراف عنه إلى غيره، وتخصيصِ الاشتغال به دونَ سواه.

سِرُّ تخصيصِ الوجهِ بالذِّكْر:

الإقبالُ بالكلّيّة أمارةُ التّسليمِ المُطلقِ

أسندَ النّظمُ الجليلُ الإقامةَ للوجه دون الذّات في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾، دون أن يقول: (فاستقم للدّين)، فخصّ الوجهَ بالذِّكْر؛ وذلك للدّلالة على شدّة الأمر بالتّوجّه إلى الله تعالى، والاستقامةِ على دينه، والاهتمام بأسباب ذلك؛ لأنّ مَنِ اهتمّ بشيء فإنّه يثبِّتُ طرفَه إليه، ويُسدّد نظرَه نحوَه، ويُقوّمُ له وجهَه[2]، وخُصّ الوجهُ بالذِّكْر لأنّه أشرفُ ما في الإنسان، فجُعِل الإقبالُ بالوجه دليلًا على الإقبال بالكلّيّة، ولأنّه قائدُ الشّخص، فحيثما اتّجه الوجهُ كان مسيرُ صاحبِه.

دلالةُ الإضافةِ إلى المُخاطَبِ في ﴿وَجْهَكَ﴾:

خطابُ النّبيِّ ﷺ خطابُ تشريفٍ للأُمّة

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الوجه إلى ضمير المخاطَب في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾، والمُرادُ به النّبيُّ ﷺ[3]؛ وذلك لتشريف ذِكْر وجهِه ﷺ، فجَعَلَ الخطابَ المقصودَ به الأُمّةَ مضمّنًا بضمير المخاطَب المفرد؛ لبيان عظَمة المأمور به، وشدّةِ وجوبه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 89، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 15/ 409.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 139.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 263.

وإلهابًا لنفوس المؤمنين باتّباع الأمرِ الذي وُجِّه إلى نبيِّهم أصالةً، وإليهم تبعًا.

معنى اللّام في ﴿لِلدِّينِ﴾:

الاستقامةُ مطلوبةٌ على وجه الإخلاصِ لله تعالى

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾، وهي هنا صالحةٌ أن تكون دالّةً على التّعليل؛ أي: إنَّ الاستقامة لأجل الدّين، "أي: أخلصْ دينَك للّه"[1]، فالإخلاصُ في الدّين يكون لأجل اللّه وتوحيدِه، وصالحةٌ أن تكون بمعنى الغاية، "أي: إلى الدّين البليغِ الاستقامة الذي ليس فيه عوج أصلًا، وهو دينُ الإسلام"[2].

نوعُ (أل) في ﴿لِلدِّينِ﴾ ودلالتُها:

عرّف النّظمُ الجليلُ الدّينَ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ تعريفَ العهد؛ لأنّ الدّين المأمورَ بإقامة الوجه إليه هو دينُهم الذي هم عليه، وهو الإسلامُ[3].

سرُّ وصفِ الدّين بالقيِّم؛ مادّةً وصيغةً:

الإسلامُ دينُ استقامةِ النّاس وصلاحِ حياتهم

وصف النّظمُ الكريمُ الدّينَ بصفة القيّم في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾؛ لدلالة القيام على الحفظ والمراعاةِ للشّيء[4]، فالدّينُ حافظٌ لأمور النّاس وصلاحِ حياتهم، فعبّر بذلك للدّلالة على استقامته وخُلُوّه من الاعوجاج، فهو الدّينُ الذي لا يأتي فيه عوجٌ، وهو الإسلامُ[5]، وجاء التّعبيرُ عنه بصيغة (فيعل) وهو صفةٌ مشبّهةٌ بمعنى المستقيم، وأصلُه (قيوم)، فأُعِلّ بالقلب[6]؛ وذلك للدّلالة على

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 15/ 409.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 161، والقنّوجيّ، فتح البيان: 10/ 258.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 89.
(4) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(5) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 258.
(6) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 5/ 335.

المبالغة في استقامته وعدالتِه، أي: هو الدّينُ البليغُ في الاستقامة[1]، فهو خالٍ من أيّ اعوجاجٍ ينفي صلاحَه للنّاس.

معنى ﴿مِن﴾ وسرُّ ذِكْرِها:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، وهي هنا ابتدائيّةٌ؛ أي: يجب الثّباتُ على الإسلام في زمان يبدأُ قبلَ مجيءِ يوم القيامة، فلا ينبغي تأخيرُ الاستقامة بالتّسويف والإرجاء؛ بل المطلوبُ البِدارُ بالاستقامة والتّمسّكِ بمنهج الإسلام القويم، وجَعَلَه الإمامُ البقاعيُّ منَ التّبعيض، وذلك إشارةٌ إلى أنّ الله تعالى يرضى "باليسير منَ العمل، ولو كان ساعةً من نهارٍ، بشرطِ الاتّصال بالموت"[2].

الاستقامةُ لا تُؤخَّر ومن رحمة الله بعباده قَبولُه اليسيرَ منهم

دلالةُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِن قَبْلِ﴾:

علّق النّظمُ الجليلُ إقامةَ الوجه للدّين بشبّه الجملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك للدّلالة على وجوب الاستقامة في أيّ زمانٍ كان منَ العُمُر، حتّى لو تأخّر إلى آخر ساعةٍ قبلَ الموت، وهذا يدلّ على سَعَة رحمتِه تعالى بأن يقبلَ من عباده مهما قلّ زمانُ توجّههم إليه[3].

الاستقامةُ واجبةٌ في كلّ آنٍ مقبولةٌ حتّى قبلَ حلولِ الأجل

نُكْتَةُ إيثارِ الايتاء، والتّعبيرِ عنه بالمصدر المؤوَّل:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمصدر المؤوَّل دونَ المصدر الصّريح في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾؛ للإشعار بمَرّ الزّمان الذي يُعبّر عنه الفعلُ المضارع، فيومُ القيامة مستمرٌّ بالإتيان، وهو أقربُ إلى النّاس بعد كلّ آنٍ يَمرُّ بهم، فضلًا عن أنّ المُراد في السّياق التّنبيهُ، بأنّه آتٍ حسبُ، دونَ بيانٍ لكيفيّة هذا الإتيان، وهذا المعنى يَفوتُ لو عَبَّر بالمصدر الصّريح، وقد عبّر بالإتيان دونَ المجيء

يومُ القيامةِ يقتربُ زمانُه فهو في مجيءٍ دائمٍ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 108.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 108.

للدّلالة على أنّ يوم القيامة مهما طال الزّمان فهو آتٍ بيُسرٍ؛ إيماءً إلى سرعة مجيئِه بانتفاء العوائق والموانعِ دونَه.

دلالةُ تنكيرِ ﴿يَوۡمٞ﴾:

يومُ القيامةِ للحسابِ يومٌ جليلٌ عظيمٌ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ اليوم بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ لِما في التّنكير من دلالةٍ على التّعظيم والتّفخيم، فهو يومٌ جليلُ القدر عظيمُ الشّأن.

سرُّ وصفِ اليومِ بكونِه ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾:

يومُ القيامة أمرٌ مقطوعٌ وقوعُه لا يردُّه أحدٌ إلّا الله تعالى

وصفَ النّظمُ الجليلُ اليومَ بالجملة الاسميّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ للدّلالة على انتفاء القدرة عن ردّه، فيومُ القيامة لا يقدر أحدٌ على ردّه إلّا الله تعالى وحده[1]، وفائدةُ هذه الصّفة تأكيدُ حتميّةِ مجيءِ ذلك اليوم، فوقوعُه حاصلٌ بدون أن يتلبّس به أيُّ شكّ، فلا يوجد أحدٌ قادرٌ على ردّه.

دلالة النفي في قوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾:

مجيءُ يومِ الحسابِ حتميٌّ لا يُردُّ

آثرَ النّظمُ الكريمُ النّفيَ بـ ﴿لَّا﴾ الدّالّةِ على نفي الجنس في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ وذلك لتأكيد نفيِ وجودِ المَردّ منَ الأصل، فنفيُ جنس المَردِّ - فضلًا عن نفيِ الوحدة - تعبيرٌ عن حتميّة مجيئِه ووقوعِه.

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿مَرَدَّ﴾؛ مادّةً وصيغةً:

معنى الرّدّ ليوم القيامة غيرُ واردٍ منَ الأصل

عبّر النّظمُ الجليلُ بالمصدر الميميّ ﴿مَرَدَّ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ﴾؛ للدّلالة على أنّه إذا جاء لا يَردُّه عنِ المُجازَيْنَ به رادٌّ[2]، والتّعبيرُ بالمصدر الميميّ يدلّ على قوّة المعنى، فنَفَى المَردَّ ولم يَنفِ الرّادَّ؛ لأنّ نفيَه أبلغُ في الدّلالة على وجود مَن يحولُ دونَ وقوعِ ذلك اليوم، فهو ليس له مَردٌّ منَ الأصل، فأنّى يكون له رادٌّ؟!.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 93.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 115.

وجهُ التّعبيرِ بشبْهِ الجملة ﴿لَهُۥ﴾:

تخصيصُ اليومِ بنفي المَرَدّ

عبّر النّظمُ الجليلُ بشبْه الجملة ﴿لَهُۥ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ مُسنَدًا لاسم ﴿لَّا﴾ النّافيةِ للجنس[1]؛ لتخصيص اليومِ بنفي المَردّ، إذ لو لم يُذْكَرْ لأوهَمَ إطلاقَ نفيِ المَردّ، وتعميمَه لكلّ شيء.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾:

الأمرُ بمجيءِ ذلك اليوم صادرٌ منَ الله تعالى الذي لا تُردّ كلمتُه

﴿مِنَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيّةٌ، أي: ابتدأ أمر مجيئِه منَ الله تعالى، فالجارُّ والمجرور متعلّقان بالفعل ﴿يَأْتِيَ﴾، أي: إنَّ هذا اليومَ إذا جاء لا يَرُدّه أحدٌ؛ لأنّه آتٍ منَ الله تعالى[2].

دلالةُ التّصريحِ بلفظِ الجَلالةِ:

ما أمرَ به ذو الجلالِ تأكّدَ وقوعُه بلا احتمالٍ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ باسم الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ لتفخيم أمرِ مجيءِ اليوم، وتأكيدِ حصولِه لصدور الوعدِ به منَ الله تعالى، وفي تفخيم أمرِ المجيء تأكيدٌ لانتفاء ردِّه؛ فمَن ذا الذي يَردُّ ما أمرَ اللهُ تعالى بمجيئِه[3].

علّةُ فصلِ جملةِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عمّا قبْلها:

الإخبارُ عن حتميّةِ مجيءِ اليومِ يُثير تساؤلًا عن أحوالِ النّاسِ فيه

فَصَل النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾؛ لأنّها جملةٌ مسوقةٌ لبيان أحوالِ النّاس في ذلك اليوم[4]؛ فهي جملة مستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فلمّا أخبرَ بأنّ مجيءَ ذلك اليوم أمرٌ مقطوعٌ به، فكأنّه قيل: كيف سيكون النّاس يومئذٍ؟ فقيل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: إنّهم سيتفرّقون.

---

(1) مجموعة من المؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1787.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 263، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 115.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 109.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 93.

دلالةُ الحذفِ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

حـذفُ المـضـافِ أذعى للإيجاز

حذفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ المضافة إلى (إذ) في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، وأُشيرَ إليه بتنوين العوض، والتّقديرُ: يومَ إذ يأتي ذلك اليومُ يصّدّعون؛ وساغ الحذفُ لوجود دليلٍ مقاليٍّ عليه، وهو أدعى للإيجاز.

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾؛ مادّةً وصيغةً:

ينقسمُ النّاسُ إلى فريقٍ في الجنّة وفريقٍ في السّعير

عبّر النّظمُ الجليلُ عن تفرّق النّاس يومَ القيامة بلفظ التّصدّع في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾؛ وذلك للدّلالة على شدّة التّفرّقِ بينهم يومئذٍ؛ لأنّ الصَّدْعَ هو الشّقّ، وإنّما يكون في الأجسام الصّلبة كالزّجاج والحديد ونحوِهما[1]، فيدلُّ ذلك على ظهور الشّقِّ في الجسم الصّلب ظهورًا مُدركًا، فعبّرَ به لبيان تمايُزِ النّاس إلى فريقيْن: أهلِ الإيمان، وأهلِ الكفر والعصيان، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشّورى: 7][2]، وجاء التّعبيرُ عنه بصيغة الفعلِ المضارع لتصويرِ الحدثِ واستجلابِ الصّورة.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصّدع والشّقّ:

الـصّـدعُ فَـصْـلُ خِـلالِ الـشّيء وتفريقُه والشّقُّ صـدعٌ شـديـدٌ فـالـشّـقُّ أخـصُّ من الصّدع

الصّدعُ شَقٌّ دقيقٌ يفصلُ الشّيء الصّلبِ، أوِ الملتحمَ ويخترقُه، صَدَع الشّيءَ: شَقَّهُ، ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 21]، وصدع الغَنَمَ صِدْعَتَين، أي: فِرْقتين، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، أي: يتفرّقون[3].

أمّا الشّقُّ: فيَدُلُّ على انْصداعٍ في الشَّيْءِ[4]، وهو الخَرْمُ الواقعُ في الشّيء، يُقال: شَقَقْتُهُ بنصفَين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

(1) الرّاغب، المفردات: (صدع).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (صدع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شق).

﴿٢٦﴾ [عبس: 26]، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الحاقة: 16][1]، فالشّقُّ صدعُ الشّيء الشّديدِ صدعًا نافذًا إلى عمقه، كصدع العود والحائط والزّجاجة، وكما يصدعُ النّبتُ والنّابُ ما يغطّيهما، ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦﴾ [عبس: 26][2]، وعليه: فإنّ الصّدع هو فصلُ خِلالِ الشّيء وتفريقُه، أمّا الشّقُّ فهو صدعٌ شديدٌ، فالشّقُّ أخصُّ منَ الصّدع، وعبّرَ في الآية الكريمة هنا: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ بلفظ الصّدعِ للدّلالة على تفرّقِهم يومَ القيامة، وانفصالِهم إلى فرقتيْن.

(1) الرّاغب، المفردات: (شق).

(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (شقق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»